مِعْرَاجُ الكسالى

إِلَى معرفة الله تعالى

تأليف

القاضي العلامة جعفر بن أحمد بن عبدالسلام البهلولي

المتوفى سنة ٥٧٦ هـ

تحقيق

جمال الشامي

بسم الله الرحمن الرحیم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد :

هذه رسالة بعنوان (**معراج الكُسالى إلى معرفة الله تعالى**) للعلامة الكبير جعفر بن أحمد البهلولي رحمه الله تعالى، جعلها من خلال عنونها سلماً لمن لا قدرة له على الكتب المطولات في معرفة الله تعالى، جمع فيها مسائل أصول الدين باختصار دون تطويل مع استيعابها لجميع مسائل الأصول، وهي على منوال (التذكرة في الأصول الخمسة) للعالم الصاحب بن عباد الطالقاني رحمه الله تعالى – المتوفى سنة ٣٨٥هـ–، و(المختصر في أصول الدين) للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني رحمه الله تعالى – المتوفى سنة ٤١٥هـ –، وقد جاء على منوالها رسالة العلامة أحمد بن الحسن الرصاص رحمه الله تعالى – المتوفى سنة ٦٢١هـ – الشهيرة بـ(مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم) والتي لاقت شهرة واسعة في اوساط الزيدية ولها عدد من الشروحات، والعلامة الرصاص هو تلميذ أبيه الحسن تلميذ العلامة جعفر البهلولي، ولم تلقى هذه الرسالة اهتماماً بل ولا ذكراً في كتب التراجم والفهارس، حتى أنها – فيما أعلم – لم تكتب مستقلة وإنما كتبت ملحقة بكتاب (الرسالة التامة[١]) للإمام الحاكم المحسن بن محمد الجشمي رحمه الله تعالى – المتوفى سنة ٤٩٤هـ –.

فرأيت أنه لا يجب أن تبقى هذه الرسالة مجهولة على صغرها وأهميتها بل يجب تحقيقها ونشرها مستقلة كجزء من تراث العلامة البهلولي، مع تعليق توضيحي لبعض النصوص، وتبويب وتقسيم وترقيم، نرجو من الله الإعانة والسداد.

جمال الشامي
يوم الأحد ٢٢ صفر ١٤٣٦هـ
١٤/١٢/٢٠١٤م.

---

(١) قيد التحقيق.

التعريف بالمؤلف

هو القاضي العلامة الفقيه المتكلم جعفر بن أحمد بن عبدالسلام بن أبي يحيى البهلولي اليماني، شيخ الزيدية ومتكلمهم ومحدثهم، أحد النعم العظمى على اليمن، مولده في اليمن ولا يوجد مصدر يحدد السنة.

كان القاضي جعفر من أعظم أعضاد الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان – المتوفى سنة ٥٦٦هـ – وأنصاره، وكان الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة – المتوفى سنة ٦١٤هـ – يقول في كتبه إذا ذكر الإمام أحمد بن سليمان والقاضي جعفراً –: قال الإمام والعالم، أفتى بذلك الإمام والعالم، حكى ذلك الإمام والعالم(١).

ذهب إلى العراق في رحلة علمية وهو أعلم أهل اليمن وجاء بكتب من مختلف "العلوم التي لم يصل بها سواه، من علوم الأصول والفروع والمعقول والمسموع وعلوم القرآن العظيم"(٢)، يقول الدكتور أحمد صبحي عن نتائج تلك الرحلة: "وبذلك حفظت لنا مكتبات اليمن العامة والخاصة تراث المعتزلة، هذا فضل للزيدية على المعتزلة لا ينسى ولا ينكر، كانت معلوماتنا عن المعتزلة مأخوذة عن طريق خصومهم الذين شوهوا آراءهم أشد التشويه، إلى أن جاءت بعثة ثقافية من الجامعة العربية إلى اليمن عام ١٩٥٤م وأخذت على عاتقها نسخ وتصوير مخطوطات المعتزلة ونشرها، فأحيت بذلك تراثاً ما كان ليرى النور لولا اليمن ولولا الزيدية"(٣).

كانت له مدرسة (بسناع) وله مناظرات عديدة مع علماء (المطرفية) و(الحشوية) في اليمن الأسفل اسفرت عن عدد من الكتب.

مشائخه:

١- الإمام أحمد بن سليمان.

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ج١ص٢٧٧.

(٢) طبقات الزيدية الكبرى ج١ص٢٧٦.

(٣) الزيدية ص١٨٣.

٢- الفقيه العلامة زيد بن الحسن البيهقي.

٣- الفقيه العلامة أحمد بن أبي الحسن الكني.

٤- الفقيه العلامة الحسن بن علي بن مالاعب الأسدي.

٥- السيد العلامة علي بن الحسن بن وهاس.

٦- أبو جعفر الديلمي.

٧- مسعود الغزنوي.

٨- أبو المظفر الفلكي (بمكة).

٩- أبو الفضل عبدالله بن أبي الفتح(١).

وغيرهم.

تلاميذه:

١- حمزة بن سليمان، والد الإمام المنصور عبدالله.

٢- الأمير بدر الدين.

٣- الأمير شمس الدين.

٤- العلامة الحسن الرصاص.

٥- العلامة محيي الدين حُميد بن أحمد القرشي.

٦- العلامة سليمان بن ناصر السحامي.

٧- العلامة أحمد بن مسعود الفهمي.

٨- العلامة محمد بن عبدالله بن أبي نجم.

٩- العلامة عبدالله بن حمزة بن أبي نجم.

١٠- العلامة حنظلة بن شعبان.

١١- العلامة أحمد بن الحسين الأكوع.

١٢- العلامة إبراهيم بن محمد بن الحسين.

١٣- السيد يحيى بن عمار السليماني.

١٤- الأمير القاسم بن غانم السليماني.

١٥- القاضي إبراهيم بن أحمد الفهمي.

---

(١) شرح نكت العبادات ص١٠.

١٦- العلامة سلمان بن محمد بن أحمد بن أبي الرجال.

١٧- العلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي الرجال.

١٨- العلامة الحسن بن محمد بن أحمد بن أبي الرجال(١).

وغيرهم الكثير.

مؤلفاته:

١- نكت العبادات وجمل الزيادات وشرحها (فقه على مذهب الهادي) طبع. ٢- شرح قصيدة الصاحب بن عباد في أصول الدين، طبع. ٣- خلاصة الفوائد في علم أصول الدين، طبع. ٤- الأربعون حديثاً العلوية وشرحها، طبع. ٥- أركان القواعد في الرد على المطرفية. ٦- التقريب في أصول الفقه. ٧- مسائل الإجماع. ٨- النقض على صاحب المجموع المحيط فيما خالف فيه الزيدية في باب الإمامة. ٩- نظام الفوائد وتقريب المراد للرائد (أمالي). ١٠- إبانة المناهج في نصيحة الخوارج. ١١- إيضاح المنهاج في فوائد المعراج(٢). ١٢- الدلائل الباهرة في المسائل الظاهرة. ١٣- المسائل المهديه في مذهب الزيدية. ١٤- حدائق الأزهار في مستحسنات الأجوبة والأخبار. ١٥- الفاصل بالدلائل بين أنوار الحق وظلمات الباطل. ١٦- الدافع بالباطل نقض على بعض مشائخ الحنابل. ١٧- مسائل سئل عنها القاضي جعفر في عشر ورقات. ١٨- فصل في أن العلم لا يطلب لنفسه. ١٩- المسائل العشر التي فيها الخلاف بين الشيعة وما شاع بينهما لأجلها من المباعدة والقطيعة. ٢٠- الصراط المستقيم في تمييز الصحيح من السقيم (الفروق بين الزيدية والإثنا عشريه). ٢١- رسالة في الرد على المطرفيه . ٢٢- المسائل القاسمية (حول مذهب الإمام القاسم بن إبراهيم). ٢٣- الإحياء على شهادة الإجماع. ٢٤- الإصدار والإيراد والتنبيه على مسالك الرشاد. ٢٥- النصرة لمذهب العترة. ٢٦- إيجاز العدة. ٢٧- البالغة (أصول فقه). ٢٨- تحكيم الإنصاف. ٢٩- تقويم المائل وتعليم الجاهل في الرد على المطرفية. ٣٠- الرسالة الجامعة. ٣١- الرسالة الرافعة بالتنبيه على شبهات التمويه. ٣٢- الرسالة الصافية الوافية. ٣٣- الرسالة الفارقة. ٣٤- الرسالة القاهرة. ٣٥- الرسالة الناصحة. ٣٦- العمدة. ٣٧- قواعد التقويم. ٣٨- رسالة المؤاخاة. ٣٩- رسالة المضاهاة والمصافاة. ٤٠- الرسالة المطيعة السامعة. ٤١- الرسالة الجامعة. ٤٢- الرسالة الشافية. ٤٣- المسألة الشافية. ٤٤- المسألة النافعة. ٤٥- المسألة الوافية. ٤٦- المسائل الإلهية. ٤٧- المسائل الرافعة. ٤٨-

(١) المرجع السابق ص١٠.

(٢) لعله شرح لهذه الرسالة التي بين يديك.

المسائل العقلية. ٤٩- المسائل القاطعة (لعله التابعة بالأدلة القاطعة) في أصول الدين. ٥٠- المسائل الكوفيـة. ٥١- المسـائل الهادويـة. ٥٢- المسـائل المهديـة. ٥٣- المسـائل الشـافية. ٥٤- المسـائل المرتضاوية. ٥٥- المسائل المسكتة. ٥٦- المسائل المطرفية. ٥٧- المسائل النبوية القاسمية. ٥٨- مقاود الإنصاف في مسائل الخلاف، طبع. ٥٩- منهاج السلامة. ٦٠- نابغة الهدى. ٦١- إنارة السراج. ٦٢- التنبيه على مسائل الإرشاد. ٦٣- الكاشف للبصائر عن جهالات الأشاعر(١). ٦٤- معراج الكسالى إلى معرفة الله تعالى.

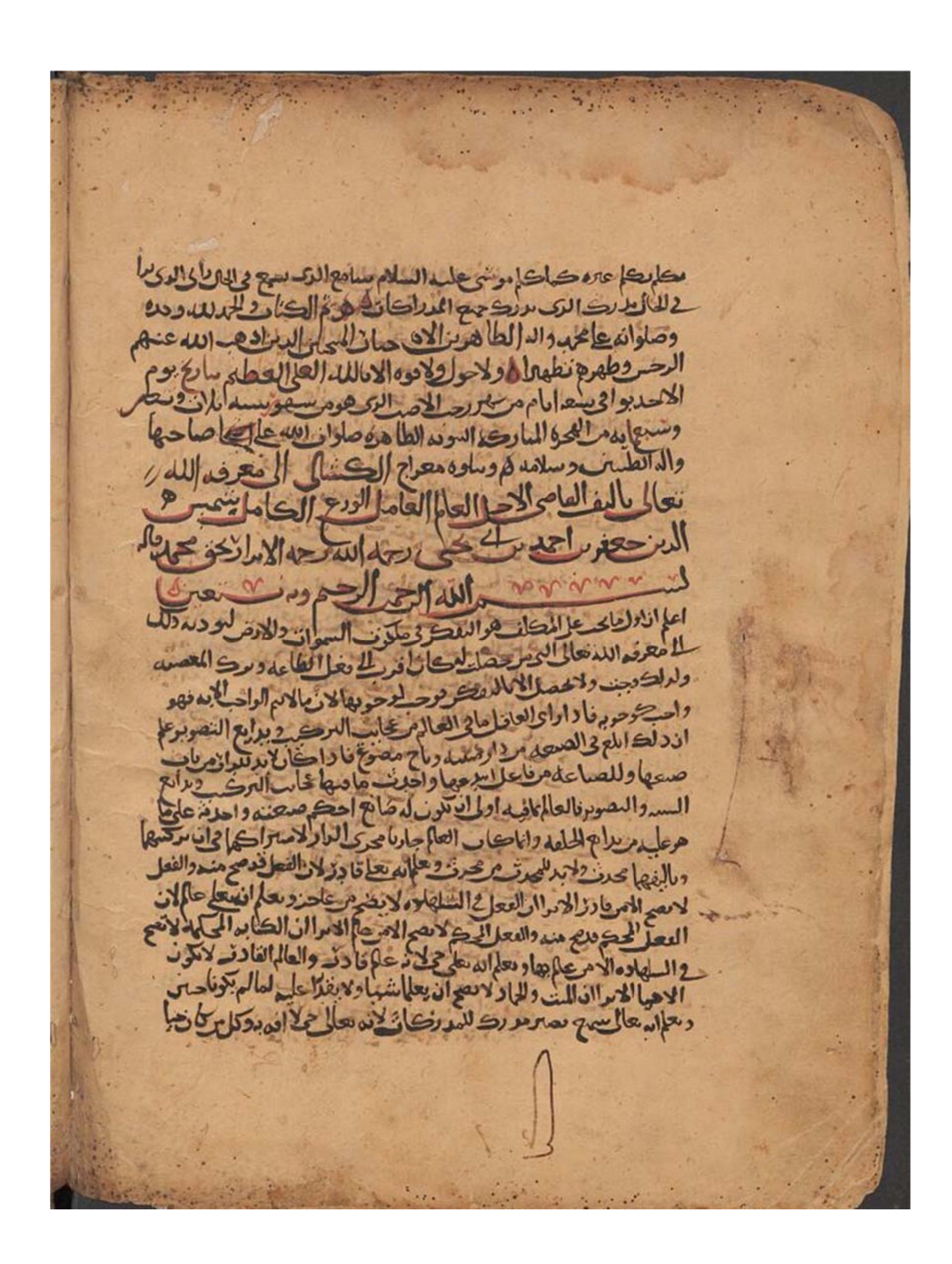
وفاته:

توفي رحمة الله تعالى عليه ورضوانه في قرية سناع جنوب غرب صنعاء سنة ٥٧٣هـ، وقبره هناك مشهور مزور(٢).

(١) أعلام المؤلفين الزيدية ص٢٧٩.

(٢) طبقات الزيدية الكبرى ج١ص٢٧٨.

نموذج من المخطوط


مكلم بكلام غيره كما كلم موسى عليه السلام سامع الذي سمع في الحال راى الذي برا
في الحال مدرك الذي مدرك جميع المدركات هو تم الكتاب والحمد لله وحده
وصلواته على محمد وآله الطاهرين الاخيار الذين اذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم تاريخ يوم
الاحد بواقي تسعة ايام من شهر رجب الاصب الذي هو من شهور سنة ثلاث وستين
وسبعمائة من الهجرة المباركة النبوية الطاهرة صلوات الله على صاحبها
وآله الطيبين وسلامه هم وسلوة معراج الكسالى الى معرفة الله
تعالى تاليف القاضي الاجل العالم العامل الورع الكامل شمس
الدين جعفر بن احمد بن ابي يحيى رحمه الله رحمة الابرار وحق محمد وآله
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
اعلم ان اول ما يجب على المكلف هو التفكر في ملكوت السموات والارض لكونه ذلك
الى معرفة الله تعالى التي من حصلت له كان اقرب الى فعل الطاعة وترك المعصية
ولذلك وجبت ولا يحصل الا بالتفكر فوجب لوجوبها لان ما لا يتم الواجب الا به فهو
واجب كوجوبه فاذا راى العاقل ما في العالم من عجائب التركيب وبدائع التصوير علم
ان ذلك ابلغ في الصنعة من دار محكمة وتاج مصنوع فاذا كان لا بد للدار من باني
صنعها وللصناعة من فاعل ابدعها واحدث ما فيها من عجائب التركيب وبدائع
الشبه والتصوير فالعالم بما فيه اولى ان تكون له صانع احكم صنعته واحدثه على ما
هو عليه من بدائع الخلقة وانما كان العالم جاريا مجرى الدار لاشتراكهما في ان تركيبهما
وتاليفهما محدث ولا بد للمحدث من محدث ونعلم انه تعالى قادر لان الفعل قد صح منه والفعل
لا يصح الا من قادر لانا نرى الفعل في الشاهد لا يصح من عاجز ونعلم انه تعالى عالم لان
الفعل المحكم قد صح منه والفعل المحكم لا يصح الا من عالم الا ترى ان الكتابة المحكمة لا تصح
في الشاهد الا من عالم بها ونعلم انه تعالى حي لانه عالم قادر والعالم القادر لا يكون
الا حيا الا ترى ان الميت والجماد لا يصح ان يعلما شيئا ولا يقدرا عليه فالعالم يكون حيا
ونعلم انه تعالى سميع بصير مدرك للمدركات لانه تعالى حي لا آفة به وكل من كان حيا

(النــص)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

[وجوب النظر]

اعلم أن أول ما يجب على المكلف(١) هو التفكر(٢) في ملكوت السموات والأرض؛ ليؤدي به ذلك إلى معرفة الله تعالى، التي من حصلت له كان أقرب إلى فعل الطاعة وترك المعصية(٣)، ولذلك وجبت(٤) ولا تحصل إلا بالتفكر(٥) فوجب(٦) لوجوبها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كوجوبه.

---

(١) المكلَّف: هو من أُعلم بوجوب بعض المقدورات عليه وقبح بعضها منه، وما الأولى له إيجاده وما الأولى له تركه مع مشقة تلحقه في الفعل والترك أو أحدهما أو في سبب ذلك أو ما يتصل بذلك ما لم يبلغ الحال به حد الإلجاء. الإيضاح في شرح المصباح ص٤٠.

(٢) التفكر: هو معنى النظر.

(٣) وهذا معنى اللطف.

(٤) أي معرفة الله تعالى.

(٥) بيان أن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر هو أن الطريق إلى تحصيل المعرفة لا يخلو من أمور أربعة: إما الحس أو البديهة أو الخبر أو النظر.

أما الحس والبديهة فنعلم ضرورة أنهما ليسا طريقين إلى معرفة الله تعالى، وأما الخبر فالمتواتر إنما يفيد العلم إذا كان مستند إلى المشاهدة، وأما الآحاد فليس موصلاً إلى العلم.

فإذا بطلت هذه الأقسام لم يبق طريق إلى المعرفة إلا النظر، وهو المطلوب. التمهيد في شرح معالم العدل والتوحيد ج١ص٤٨.

(٦) ويدل على وجوب النظر أمران:

أحدهما: أن معرفة الله تعالى واجبة لكونها لطفاً.

وثانيهما: أن النظر يندفع به الضرر عن النفس، ودفع الضرر واجب، فالنظر أيضاً واجب.

وبيان أن النظر يندفع به الضرر هو أن المكلف إذا كمل عقله فلا بد من أن يخاف من ترك النظر لسبب ما، والأمن لا يكون إلا بالوقوف على حقيقة الأمر، ولن يكون ذلك إلا بالنظر؛ لبطلان سائر الوجوه الموصلة كما مر، فثبت أن النظر يندفع به الضرر.

وبيان أن دفع الضرر واجب مقرر في العقول معلوم باضطرار، فوجب القول بوجوب النظر. التمهيد ج١ص٤٨-٤٩.

[أثبات الصانع]

فإذا رأى العاقل ما في العالم من عجائب التركيب وبدائع التصوير(١)، علم أن ذلك أبلغ في الصنعة من دار مبنية وناح مصنوع، فإذا كان لا بد للدار من بانٍ صنعها وللصناعة من فاعلٍ ابدعها وأحدث ما فيها عجائب التركيب، وبدائع البنية والتصوير(٢).

فالعالم بما فيه أولى أن يكون له صانع أحكم صنعته، وأحدثه على ما هو عليه(٣)، من بدائع الخلقة، وإنما كان العالم جارياً مجرى الدار لاشتراكهما في أن تركيبها وتأليفها محدث، ولا بد للمحدث من محدث(٤).

---

(١) يقول البروفسور (فرانسيس كولن) رئيس مشروع الجينوم البشري: "لقد تملكني الخشوع عندما اطلعت على التصميم المبهر للخالق العظيم الذي وضع بحكمته القوانين الطبيعية وضوابطها، بحيث تسمح بنشأة المجرات والنجوم والكواكب وعناصر المادة، بل والحياة نفسها، بل والإنسان". كيف بدأ الخلق ص٢١٧.

(٢) يسمى هذا (برهان التصميم) وقد دعا القرآن الكريم في كثير من آياته الناس إلى النظر والتأمل في الكون وما فيه حتى أصبح هذا البرهان معتمد علماء الإسلام، وكان للفيلسوف (كانت) الفضل في نقل هذا البرهان إلى أوربا بعد أن تأثر بشدة بطرح الإمام الغزالي لهذا المفهوم، وفي اللاهوت المسيحي يبرز في هذا المجال اسم (ويليم بالي) في القرن التاسع عشر، صاحب برهان صانع الساعات، حتى أن (دارون) نفسه كان من المدافعين بشدة عن هذا البرهان! ويمكن تلخيص البرهان في ثلاث مقدمات ونتيجة:

١- إن تركيب الساعة شديد التعقيد.

٢- للساعة مصمم ذكي.

٣- إن الحياة شديدة التعقيد.

إذاً للحياة مصمم ذكي. المرجع السابق ص٢١٨.

(٣) مسألة أن العالم محدث في هذا العصر اصبح حقيقة علمية حتى الملاحدة المعاصرون أنفسهم يؤمنون بأن العالم وجد ولم يكن؛ وذلك استناداً إلى الأدلة العلمية المثبتة لذلك كـ (الانفجار الأعظم Big Bang).

(٤) هناك إدراك عند البشر – عبر التاريخ وعبر الجغرافيا – ببداهة فكرة (أن كل حدث له سبب)، وهو ما يُسمى بقانون (العلاقة بين الحدث والمسبِب – Law of Cause And Effect)، لذلك فإن القول بوجود كون حادث (له بداية) دون مُحدث ودون مصدر سابق عليه هراء ورد للضرورات العقلية.

[التوحيد]

١- وتعلم أن تعالى قادر[1]؛ لأن الفعل قد صح منه، والفعل لا يصح إلا من قادر، ألا ترى أن الفعل في الشاهد لا يصح من العاجز.

٢- وتعلم أنه تعالى عالم[2]؛ لأن الفعل المحكم قد صح منه، والفعل المحكم لا يصح إلا من عالم، ألا ترى أن الكتابة المحكمة لا تصح في الشاهد إلا من عالم بها.

٣- وتعلم أنه تعالى حي[3]؛ لأنه عالم قادر، والعالم القادر لا يكون إلا حياً، ألا ترى أن الميت والجماد لا يصح أن يعلما شيئاً ولا يقدرا عليه لما لم يكونا حيين.

٤- وتعلم أنه سميع بصير[4] مدرك[5] للمدركات؛ لأنه تعالى حي لا آفة به وكل من كان حياً لا آفة به فهو سميع بصير، كما في الشاهد أن من كان حياً لا آفة به فهو سميع بصير.

٥- وتعلم أنه تعالى قديم[6]؛ لأنه لو لم يكن قديماً لكان محدثاً ولأحتاج إلى مُحدث والكلام في محدثه كالكلام فيه فإن أحتاج أيضاً إلى محدث آخر أدى ذلك إلى ما لا يتناهى وذلك محال، فثبت أنه تعالى قديم.

---

(١) حقيقة القادر: هو من يصح منه الفعل مع سلامة الأحوال. الإصباح على شرح المصباح ص٣٩.

(٢) حقيقة العالم: هو المختص بصفة لمكانها تصح منه الأحكام تحقيقاً أو تقديراً. الإصباح على شرح المصباح ص٤٣.

(٣) حقيقة الحي: من يمكنه إدراك الأشياء عند اجتماع شرائط الإدراك والقدرة عليها مع سلامة الأحوال. الإصباح على شرح المصباح ص٤٧.

(٤) حقيقة سميع بصير: هو المختص بصفة لكونه عليها يصح أن يدرك المسموع والمبصر إذا وجد. الإيضاح في شرح المصباح ص٩٩.

(٥) الذي عليه جمهور أئمتنا والبغدادية أن المرجع بمدرك في حقه تعالى إلى أنه عالم. الإصباح على شرح المصباح ص٤٨.

(٦) حقيقة القديم: هو الأول الذي لا أول لوجوده. الإصباح على شرح المصباح ص٥٠.

٦- وتعلم أنه تعالى غير مشبه(١) للأشياء(٢)؛ إذ لوا شبهها لجاز عليه ما جاز عليها من التغير والزوال والتنقل من حال إلى حال، وذلك علامات الحدوث وقد ثبت أنه تعالى قديم.

٧- وتعلم أنه تعالى غني(٣) لا تجوز عليه الحاجة؛ لأن الحاجة لا تجوز إلا على من جازت عليه المنفعة والمضرة واللذة والألم، ولا يجوز ذلك إلا على من جازت عليه الشهوة ونفار الطبع وذلك لا يجوز عليه تعالى.

٨- وتعلم أنه تعالى لا يجوز أن يُرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة، ولو جاز أن يُرى في حال من الأحوال لوجب أن تراه الآن؛ لأن الحواس سليمة والموانع مرتفعة وهو تعالى موجود فلِمَ لم تدركه الآن؟

مع ذلك علمنا أنه لا يدرك في حال من الأحوال وقد قال تعالى: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**﴾[الأنعام:١٠٣] فتمدح بنفي إدراك الأبصار وهو رؤيتها عن نفسه، فلا يجوز إثبات ما تمدح الله تعالى بنفيه عن نفسه؛ لأن ذلك يؤدي إلى إلحاق النقص وذلك لا يجوز عليه تعالى.

٩- وتعلم أنه تعالى واحد(٤) لا ثاني له في القدم والإلهية لقوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[الإخلاص:١] وقوله: ﴿**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ**﴾[ص:٦٥].

[العدل]

١- وتعلم أنه تعالى عدل(١) حكيم ليس في أفعاله ظلم ولا عبث ولا سفه؛ لأن ذلك كله قبيح ومعلوم قبحه عند كل عاقل، والله تعالى لا يفعل القبيح؛ لعلمه بقبحه وغناه عن فعله وعلمه بأنه غني

---

(١) المشابهة: اتفاق الذاتين في صفة من صفات الذات مع الاتفاق في الوجه الذي اشتركا فيها لأجله. الكاشف الأمين عن جواهر العقد الثمين ص٢٢٠.

(٢) الشيء: ما يصح العلم به والخبر عنه. الإصباح على شرح المصباح ص٦٠.

(٣) الغني: هو الحي الذي ليس بمحتاج. الإصباح على شرح المصباح ص٦٣.

(٤) الواحد: هو المتفرد بصفات الكمال على حد لا يشاركه فيها غيره على الوجه الذي يستحقها. الإصباح على شرح المصباح ص٧٠.

عنه، وكل من كان بهذه الأوصاف فإنه لا يفعل القبيح، كما ثبت في الشاهد أن العاقل متى قيل له إن صدقت أعطيتك درهماً، وإن كذبت أعطيتك درهماً فإنه لا يختار الكذب على الصدق وليس ذلك إلا لعمله بقبح الكذب وغناه بالصدق عنه وعلمه بغناه عن ذلك.

٢- وتعلم أن جميع أفعال العباد حسنها وقبيحها منهم لا من الله تعالى؛ لأنه أمرهم ببعضها ونهاهم عن بعضها ولا يجوز أن يأمرهم ولا ينهاهم عن فعله تعالى؛ لأن ذلك قبيح.

٣- وتعلم أنه تعالى لا يعذب أحد إلا بذنبه كما قال تعالى: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ**﴾[العنكبوت:٤٠]؛ ولأن عقاب من لا ذنب له ظلم قبيح.

٤- وتعلم أنه تعالى لا يقضي(٢) إلا بالحق كما قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ**﴾[غافر:٢٠]، وبالمعاصي باطل فلا يجوز إطلاق القول أنها من قضائه؛ إذ لو كانت من قضائه لوجب الرضا بها إذ لا خلاف بين المسلمين أن الرضى بقضاء الله تعالى واجب، ولا خلاف بينهم أن الرضى بالمعاصي لا يجوز فدل ذلك على أنها ليست بقضاء الله تعالى.

---

(١) العدل: هو الذي لا يفعل القبيح كالظلم والعبث ولا يخل بواجب كالتمكين لمن كلَّفه والبيان لمن خاطبه. الإيضاح في شرح المصباح ص١٦١.

(٢) القضاء يطلق على معانٍ:

١- الخَلْق والتَّمَام: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾[فصلت:١٢]، أي خَلَقَهُنَّ وأَتَمَّ خَلْقَهُنَّ.

٢- الأَمْر والإِلْزَام: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾[الإسراء:٢٣]، أي أَمَرَ وأَلْزَمَ.

٣- الإِعْلَام والإِخْبَار: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾[الإسراء:٤]، أي أَعْلَمْنَا وأَخْبَرْنَا.

٤- الحُكْم: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [يونس:٩٣]، ويقال: قضى القاضي على فلان لفلان بكذا.

٥- الفَرَاغ: ﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ**﴾ [القصص:٢٩].

٦- الأَدَاء: قضيت ديني وقضى نحبه-أي مات-، وقضاء بمقابل الأداء وهو ما فعل من العبادات بعد خروج وقته، وقضى الله عليه -أي أماته-، واسم قاضٍ -أي قاتل-، ومنه: ﴿**فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾ [القصص:١٥]، أي قتله. الكاشف الأمين عن جواهر العقد الثمين ص٤٨٦.

٥- وتعلم أنه تعالى لا يكلف(١) ما لا نطيقه؛ لأن تكليف ما لا يطاق قبيح وهو لا يفعل القبيح.

٦- وتعلم أنه تعالى لا يريد الظلم(٢) ولا يرضى الكفر(٣) ولا يحب الفساد(٤)؛ لأن ذلك كله راجع إلى الإرادة وإرادة القبيح قبيحة وهو تعالى لا يفعل القبيح.

٧- وتعلم أنه تعالى لا يفعل بعباده شيئاً من النقص والألم ابتداء إلا ما هو مصلحة للمكلفين سواء كان ذلك محنة أو نعمة؛ لأنه لا يفعل إلا الحكمة والصواب وإنما يكون ذلك حكمة إذا كان الغرض به اعتبار المكلفين ويحصل به عوض للمؤلمين.

٨- وتعلم أن كلامه(٥) حق ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾[فصلت:٤٢] وأنه محدث(٦) غير قديم؛ لأنه مؤلف منظوم يوجد بعضه في إثر البعض وذلك إمارة الحدوث.

٩- وتعلم أن محمد صلى الله عليه وعلى آله نبي صادق؛ لأنه جاء بالقرآن الذي جعله حجة له ودليلاً على ثبوته، وهو معجز لعجز العرب الذين هم النهاية في الفصاحة أن يأتوا بمثله مع أنه تحداهم فقال تعالى: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾[الطور:٣٤]، فلوا قدروا على الإتيان بمثله لجاءوا به ولم يختاروا المحاربة التي لا تدل على بطلان باطل ولا صحة صحيح، فثبت عجزهم وأن القرآن معجز والمعجز لا يجوز ظهوره إلا على صادق في دعواه؛ لأن إظهاره على الكاذبين قبيح.

---

(١) التكليف: هو إعلام الله العبد بأن له في الفعل أو الترك جلب نفع أو دفع ضرر مع مشقة تلحقه فيهما أو في سببهما أو في ما يتصل بهما مع زوال الإلجاء. المعراج إلى كشف اسرار المنهاج ج٣ص٤٧.

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:١٠٨].

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[الزمر:٧].

(٤) قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[البقرة:٢٠٥].

(٥) القرآن الكريم.

(٦) قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[الأنبياء:٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾[الشعراء:٥].

[الوعد والوعيد]

١- وتعلم أن أصحاب المعاصي الكبائر[١] إذا ماتوا مصرين[٢] عليها يصيرون إلى العذاب الدائم لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾[الجن:٢٣].

٢- وتعلم أنهم[٣] يسمون فساقاً[٤]؛ لإجماع الأمة على تسميتهم بذلك، [ولا يسمون كفار ولا مؤمنين؛ إذ لا دلالة تدل على ذلك][٥].

٣- وتعلم أن شفاعة[٦] النبي صلى الله عليه لا تكون يوم القيامة لمن يستحق النار من الفساق والكفار لقوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[غافر:١٨].

[الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

١- وتعلم أنه يجب على المكلف الأمر بالمعروف[٧] والنهي عن المنكر[١] بحسب الطاقة والإمكان لقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:١٠٤].

---

(١) الكبيرة: هي ما يستحق عليها صاحبها من العقاب في كل وقت أكثر مما يستحق من الثواب في كل وقت. المعراج إلى كشف أسرار المنهاج ج٣ص٥٦٨.

(٢) قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[آل عمران:١٣٥].

(٣) أصحاب الكبائر.

(٤) حقيقة الفاسق: من استحق عقاباً عظيماً دون العقاب الأعظم مع أحكام دنيوية مخصوصة. الإيضاح في شرح المصباح ص٢٧٣.

(٥) كان النص بعد الآية التالية له وتم وضعه في موضعه تناسقاً مع النص الذي قبله.

(٦) الشفاعة: هي السؤال لجلب منفعة للغير على وجه يكون مقصود السائل حصول ذلك لأجل سؤاله.

(٧) المعروف: هو كل فعل يستحق به الثواب.

[الإمامة]

١- وتعلم أن الإمام(٢) بعد رسول الله صلى الله عليه بلا فصل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لقول رسول الله صلى الله عليه: ((**من كنت مولاه فعلي مولاه**))(٣) فجعله مولى الكافة كنفسه، والمولى هو السيد المالك المتصرف كما يقال هذا مولى القوم أي سيدهم، والمالك للتصرف فيهم، وكذلك مولى العبد وولي للأمه، وكآنه قال: من كنت أملك التصرف عليه فعلي يملك التصرف، وذلك معنى الإمامة فيجب أن يكون إماماً بذلك.

٢- وتعلم أن الإمام بعده أبنه الحسن ثم الحسين لقوله صلى الله عليه وسلم: ((**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما**))(٤) وهذا نص صحيح صريح على إمامتهما عليهما السلام.

٣- وتعلم أن الإمامة(٥) بعدهما فيمن قام ودعا من أولادهما وهو جامع لخصال الأئمة من العلم والفضل، والزهد، والشجاعة، والسخاء، والقوة على تدبير الأمر، كزيد بن علي عليهما السلام ومن حذا حذوه من العترة الطاهرة.

والذي يدل على أن الإمامة مقصورة عليهم إجماع(١) الأمة على جوازها فيهم بعد بطلان قول الإمامية(٢) بالنص على جماعة من ولد الحسين خاصة؛ إذ لا طريق إلى معرفة ما ادعوه من النص، والإجماع حجة ولا دليل على خلافه.

---

(١) المنكر: هو كل فعل يستحق به العقاب.

(٢) الإمام: هو المتقدم على غيره، في أمر من الأمور على حد يقتدي به فيه، ومنه إمام الصلاة سواء كان مستحقاً لذلك أو غير مستحق، في هدى أو ضلال، وعلى الأول قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾[الفرقان: ٧٤] وعلى الثاني: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**﴾[القصص: ٤١]. العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة ص٦٩.

(٣) يُدعى بحدث الغدير وهو من الأحاديث المتواترة، ممن رواه ابن ماجه في السنن ج١ص٤٥، ومعمر بن راشد في الجامع ج١١ص٢٢٥، وأحمد بن حنبل في المسند ج٢ص٢٦٢، وابن أبي عاصم في السنة ج٢ص٦٠٦، والبزار في المسند ج٣ص٣٤، وابن حبان في صحيحه ج١٥ص٣٧٦، والحاكم في المستدرك ج٣ص١١٨.

(٤) رواه الإمام الهادي في كتاب العدل التوحيد، و((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما)) ترتيب الأمالي الخميسية ج١ص٥٨، المستدرك على الصحيحين ج٣ص١٨٢، سنن ابن ماجه ج١ص١٤٤، الشريعة للآجري ج٥ص٢١٤١، المعجم الكبير للطبراني ج٣ص٣٩، تاريخ دمشق ج١٣ص٢٠٨.

(٥) الإمامة: رئاسة عامة لشخص من الأشخاص بحكم الشرع. العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة ص٦٩.

والذي يدل على أن الدعوة هي طريق الإمامة أن معنى الدعوة: هو التجرد للقيام بالأمر والعزم عليه ومنابذة الظالمين.

ولا خلاف بين الأمة أن الإمام يجب كونه على هذه الصفة بعد بطلان قول اصحاب النص، فجعلنا ما وقع الإجماع عليه طريقاً إلى ثبوت الإمامة ولا دليل يدل على كون غيره طريقاً إليها، فأما سائر الأوصاف التي يجب كون الإمام عليها فلا خلاف بين علماء المسلمين أن الإمام يجب كونه عليها.

[الخاتمة]

وهذه الجملة يجب معرفتها بأدلتها ولا يجوز الاقتصار في ذلك على التقليد لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[البقرة:١٧٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**من أخذ دينه عن التفكر في آلاء اللَّه، وعن التدبر لكتابه، والتفهم لسنتي زالت الرواسي، ولم يزل، ومن أخذ دينه عن أفواه الرجال، وقلدهم فيه ذهبت به الرجال من يمين إلى شمال وكان من دين اللَّه على أعظم زوال**))(٣) ﴿**إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ**﴾[الأنبياء:١٠٦].

تم المعراج وصلى الله على محمد وآله
بخط العبد الفقير إلى رحمة ربه العلي القدير
الخضر بن يحيى بن علي بن محمد بن [(٤)] الحسني
اللهم أغفر لكاتبه ولمالكه وللقارئ فيه.

---

(١) يُسمى هذا إجماع مركب.

(٢) الإمامية: سُميت بذلك لجعلها أمور الدين كلها إلى الإمام وأنه كالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسُموا رافضة لرفضهم إمامة زيد بن علي(ع)، وسُموا إثني عشرية لقولهم بإمامة إثني عشر إماماً منصوص عليهم. الرسالة في نصيحة العامة خ.

(٣) رواه الإمام أبو طالب في الأمالي ص(١٤٨) عن علي عليه السلام مرفوعاً.

(٤) اسم غير واضح لعله (رزق).

الفهرس